

٧٢. شرح كتاب التوحيد | العلامة عبدالله الغنيمان

عبدالله الغنيمان

باب قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين. فقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم على ربيهم يتوكلون. قوله يا ايها النبي حسبك الله - 00:00:00

ومن اتبعك من المؤمنين. قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه. وعن ابن حسينا الله ونعم الوكيل. قالها ابراهيم عليه السلام حين القى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له - 00:00:30

ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهם. فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. رواه البخاري والنسائي. وهذا الباب ايضا اراد ان يبيّن ان التوكل فرض على العبد. انه يجب ان يكون توكله على الله جل وعلا - 00:01:00

وان يخلص له جل وعلا وان لا يكون على المخلوق. ولهذا هذا قدم المعمول على العامل ليدل على الاختصاص ان التوكل خاص بالله جل وعلا. وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين. ثم جاء معلقا - 00:01:30

التوكل على نفي على وجود الايمان او نفيه. كما جاء ايضا انه يعلق على وجود الاسلام او وهذه الاية في سياق قصة موسى مع قومه لما امرهم بامر الله جل وعلا - 00:02:00

ان يدخلوا على القوم الجبارين. قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهم ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ان كنتم مؤمنين يعني ان - 00:02:20

الايمان شرط بوجود التوكل. فاني اذا انتفى التوكل انتفى الايمان فهذا يدلنا على ان التوكل امر لابد له لابد للعبد من ان يتوكلا عليه وحقيقة فعل السبب مع اعتماد الانسان على حصول المراد على الله - 00:02:40

وليس التوكل ترك الاسباب. لان الله جل وعلا رتب الامر على الاسباب ولا يمكن ان يكون الانسان معطلا للسبب ويقول انا متوكلا على الله هذا نقص نقص في العقل وقدح في الشرع. الواقع ومخالفة لامر الله جل وعلا - 00:03:10

اما كونه نقص في العقل فهو امر ظاهر. لا يمكن يكون الانسان يقول انا اجلس في ان كان قدر اني اكون طالب علم سوف يحصل. انا متوكلا على الله في ذلك. او - 00:03:40

يقول انا لا اتزوج اذا كان الله جل وعلا قدر لي ان يكون لي ولد سوف يحصل الله جل وعلا جعل لكل شيء سبب. وامروا بفعل السبب. ولكن لا يجوز ان نعتمد على الاسباب. يجب - 00:04:00

ان يكون اعتمادنا على الله والاسباب ننظر اليها على انها اسباب مخلوقة وظعها الله جل وعلا على هذه الامر التي امرنا بفعلها. وهي ايضا لا يمكن ان تستقل بالمراد او تأتي به. وانما الذي يأتي به هو الله جل وعلا. فعلى هذا يكون - 00:04:20

التوكل هو اعتماد القلب على الله. اما ان نقول كلاما الامر الى الله كلة الامر الى الله جل وعلا فهذا لا بد ان يكون على هذا على هذا الوجه. يعني يعتمد قلبك على ربك وتفعل السبب - 00:04:50

ثم بعد ذلك حصول المراد تكله الى ربك. من هنا يأتي كلة الامر الى الله بعد هذا يعني بعد فعل السبب وبعد اعتمادك على ربك جل وعلا وقطع النظر عن - 00:05:10

السبب بأنه يأتي بشيء. وانما هو سبب. فالاعتماد على السبب شرك وترك السبب وعدم الالتفات اليه قدح في الشرع والعقد. فلا بد من الجمع بين هذه الامر ولا يجوز ان يكون الانسان عجزه توكل اجعل عجزه توكل. يقول انا اترك الاعمال واتوكل على الله - 00:05:30 سوف يأتييني كذا وكذا ثم يصبح ينظر الى الاسباب للخلق ونحوهم متى يأتيونه بشيء يريده؟ فهذا عجز بالواقع عجز ملوم الانسان

عليه يلام عليه بل ويعاقب على ذلك. لهذا قال - 00:06:00

والله فتوكلوا ان كتم مؤمنين قوله جل وعلا انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم. اذا تلية عليهم اياته سادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون - 00:06:20

فالآلية ذكرت فيها ثلاثة صفات قطع النظر عن ذكر الصلاة وابتلاء الزكاة لأنها في الآية التي بعد ما حصر الأيمان في من كانت هذه صفتة. يعني من صفتة الخامس المذكورة - 00:06:46

الذين اذا ذكر الله وجل قلبه. اذا تلية عليه اياته ازداد ايمانا. وهو ويتوكل على الله هذه ثلاثة الرابعة اقام الصلاة والخامسة ايتاء الزكاة. هذه خمس صفات قد يكون الانسان مثلا اذا الامام محصور في هذه الخامس المذكورة. قل نعم - 00:07:11

فيها لأنها تستدعي ما عدتها من امور الأيمان. اذا حصلت هذه الانسان تامة فلابد ان يأتي بالبقية. لا بد ان يأتي به. انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وجل القلب هو خوفه. وخشيتها. قال السدي رحمة الله - 00:07:41

هو الرجل يريد الظلم او عمل المعصية فيقال له اتق الله تخاف ويجل قلبه فيقف. ويكتنف من الظلم او المعصية. وهذا تمثيل بمجرد تمثيل والا الآية اوسع من هذا واعظم. ولكن مثال والسلف مفسرون - 00:08:11

كانوا يذكرون الأمثلة للتقرير. لتقرير المعنى الى الافهام بالامثلة وتكون مجرد امثلة. والا فالمعنى اعم وواسع. فالقصد ان مؤمن الذي عنده الأيمان. اذا ذكر بربه لابد ان يخاف. فاذا خاف لابد - 00:08:41

لابد ان يقف عن المعاشي وي فعل الطاعات وهذا هو زيادة الأيمان اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وكذلك اذا تلية عليهم اياته والمقصود بالآيات هو الآيات السمعية يعني الآيات القولية يعني ايات - 00:09:11

القرآن فمعنى ذلك ان المؤمن اذا سمع القرآن لابد ان يزداد. ان يزداد ايمانا. وزيادة الأيمان اما ان يكون عنده رغبة في العمل الصالح. واما عنده وجل في قلبه ورجاء لثواب - 00:09:41

ربه او خوفا من عقابه. وكل هذا من الزيادة من زيادة الأيمان. يعني انه لا لابد ان يحصل له اثر. عندما يسمع كلام الله جل وعلا. فاذا كان الانسان ممن يحب الصوت فقط ويستمع الى الصوت. ولا يلتفت الى المعنى فلن يتاثر بشيء - 00:10:05

تصبح مثلا يريد الموسيقى والصوت الحسن الجميل الذي يرتاح اليه ويميل اليه وهذا لا يجدي شيئا. بل هذا يضر اكثر مما ينفع. ولا يقال ان الصوت الحسن غير مطلوب في القرآن قل انه مطلوب ولكن الغنى فيه لا لا يجوز ليكون الانسان يتخذه شبه - 00:10:35

اخواني انما يحسن صوته به كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم. يعني يجتهد ان يكون صوته حسنة. ولكن لا عن كونه كلام عربي على وظع معين فيجعله على مقاطع - 00:11:06

معينة مقاطع الموسيقى كأنه شعر. هذا لا يجوز والرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب الصوت الحسن الجميل. ويستمع اليه. ولهذا لما مر على بيت ابي موسى الاشعري وهو يقرأ في الليل وقف يستمع. صلوات الله وسلامه عليه. ثم - 00:11:36

ولما غدا عليه في الصباح قال له لو رأيتنني البارحة وانا استمع لك وقد اوتتني مزمارا من مزامير ال داود لان ابا موسى الاشعري رضي الله عنه كان حسن الصوت. فقال له ابو موسى والله لو علمت - 00:12:03

بك لحضرته لك تحببها. يعني لحسنت وزينت حتى ترتاح اليه اكثر دل على ان تحسين الصوت بالقرآن انه امر مطلوب. لانه قد يرقق القلب تجذب النفس الى التأثر باستماع بخلاف اذا جعل على شبه الاغاني وشبه مقاطع الموسيقى والشعر. فان هذا ينفر - 00:12:23

وقد جاء التحذير من ذلك وانه يأتي في اخر الزمان قوم هذه صفتهم يقدم احدهم نقرأ لهم ليس هو اعلمهم ولا اتقاهم. وانما يغනهم لا يجاوز القرآن ثناء الحناجرة. يعني لا يدخل الى قلوبهم. وانما مقصودهم استماع الصوت فقط - 00:12:59

فالقصد ان المؤمن اذا سمع كلام الله لا بد ان يزداد خيرا. اما القلب والخوف او رجاؤه ورغبتة او زيادة العمل. والبحث على يحثه على ذلك او الانزجار عن امر من الامور التي هو فيه - 00:13:29

لهذا قال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اذا تلية عليهم اياته زادتهم ايمانا. ثم قال وعلى ربهم يتوكلون. فجعل

التوكل هو الجامع وعلى ربهم يتوكلون فعلى ذلك على هذا يدلنا ان التوكل فرض لا بد منه. بل يدل على ان التوكل هو اصل مقامات -

00:13:54

الايمان وانه اذا فقد فالايام مفقود. لا وجود له فعلى ذلك يكون التوحيد لا وجود له الا بالتوكل على الله جل وعلا والتوك على المخلوق حرام بل شرك. غير انه يكون على قسمين. التوكل على - 00:14:30

مخلوق على قسمين. يكون توكل على من هو غائب. او ميت بانه يشفع له. او يدفع عنه. من امور الدنيا والآخرة فهذا شرك اكبر. لا يغفره الله جل وعلا الا بالتوبة منه. والاقلاع عنه - 00:15:02

وتوك على وظيفة او سلطان امير او كبير او ما اشبه ذلك بانه يعطيه من الدنيا ما يكفيه. او ما يزيد على الكفاية او غير ذلك. فهذا من الشرك اصغر وقد يترقى بالانسان الى ان يكون معتمدا عليه قاطعا النظر عن ربها جل وعلا - 00:15:32

التوكل على المخلوق اما ان يكون شرك اكبر او شرك اصغر اما الوكالة الجائزه فهي ان يعمد الانسان في عمل ما ان يقوم مقامه يقول وكتلك ان تعمل كذا ولكن لا يعتمد عليه قلبه لا يعتمد عليه - 00:16:02

وانما يعتمد على ربها في حصول المراد. انما يكل اليه الشيء الذي يفعله وباستطاعته نائبا عنه وقائما مقامه في ذلك. فهذا امر جائز لا لوم على الانسان فيه. اما ان - 00:16:29

على مخلوق في انه يحصل له رزقه من قبله سواء كان امر معنوي او شيء حسي. المعنوي لأن يعتمد على صنعته. وعلى مثلا معرفته وكونه يقول انا اعرف كيف اتصرف. اعرف كيف اتاجر. اعرف كيف اتي بالبضائع - 00:16:49

اشهه ذلك فيظيف الامور الى نفسه والى معرفته. ولهذا حصل لي كذا وحصل لي كذا. فهذا نوع من الشرك الاصغر الشرك الخفي وما اكثره. ولا يسلم من هذا الا من سلمه الله جل وعلا - 00:17:20

عما اذا اعتمد على ميت او غائب بانه سوف يحصل له شفا قلبه او شفا مرضه او انه يحصل له رزقه بسببه او انه يكون قد وكل اليه التصرف في ذلك وكل الله اليه من باب الكرامة او ما اشهه ذلك - 00:17:43

ما يعتقده بعض الضلال او انه يعتمد على شفاعته في القيامة ونجاة من النار فيها وما اشهه ذلك فهذا من الشرك الاصغر. الذي لا يجوز ان يقع من المؤمن اما كون الانسان يكل بعض الامور الى غيره ليقوم بها نيابة عن فهذا تسمى وكالة - 00:18:13

لا يجوز ان نقول توكل انه يتوك علىه في كذا. نقول وكله في كذا. الشيء الذي يكون محدد معروفا وقائما به يقوم به مقامه ثم انه لا يعتمد يعتمد قلبه عليه بل يعتمد على ربها في - 00:18:42

المراد فهذا امر جائز. قال وقوله ومن يتوك على الله فهو حسبه. فهو يعني حسبه والحسب هو الكافي. وهذا فضل عظيم للتوكل جزاء عظيم جدا حيث جعل جزاء المتكول انه هو حسبه جل وعلا. ومن كان الله حسبه - 00:19:02

فلن يأتيه ما يضره فالحسب والكافي الذي يكون قد كفى العبد من كل جانب. ومن كل ما يهمه. وكفاه كذلك في كل ما يريده ويرحب به فهو عام عام شامي. فهو حسبه - 00:19:32

قالوا عن ابن عباس رضي الله عنهم قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوه - 00:20:05

زادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل. لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه. فلا تخافوه ان كنتم مؤمنين. يعني الذي جاءكم بالتخويف هو جند الشيطان كما مضى. فهذا يدلنا - 00:20:25

على ان هذه الكلمة حسبنا الله ونعم الوكيل. لها مقام عظيم حيث انها قول الخليلين في الشدائدين قال الله جل وعلا قالوا حرقوه وانصروا الهمتهم ان كنتم فاعلين. وقلنا - 00:20:55

يأ نار كوني برب وسلام على ابراهيم هذا من اعظم الایات نار تؤجج من اعظم النيران في الدنيا حيث بقوا وقتا طويلا. يجمع الحطب فيها. ثم لما اججوا ما استطاعوا ان يطربوها - 00:21:15

فرموده بالمنجنيق من بعيد وهو يجاهدهم ويناظرهم معتمدا على ربه جل وعلا. فعند ذلك لما لم يكن له ان يقوى. قال حسبي الله ونعم الوكيل. فصار كافيه في لحظة قال للنار كوني بربنا وسلاما. بربنا وسلاما. اذ لو كان تركت مثقال لا - 00:21:41 البرد يمكن يموت من البرد. فصارت روضة روضة من رياض الدنيا. يقوم يصلى فيها فاين كيد الكفار؟ واين جمعهم؟ اين هو رجل وحده؟ حيث كفاه الله جل وعلا لانه قائم لله جل وعلا غير ملتفت للخلق كله. وكلهم عليه. وصار النص العظيم - 00:22:15 وكذلك فيها قول خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه. حينما تألب عليه الكفار وحصل ما حصل حيث قتل من اصحابه سبعين وجرح عدد كبير ثم هو كذلك صلوات الله وسلامه عليه - 00:22:45

له مناله من الجراح حتى جرح وجهه وكسرت رباعيته وصار الدم يسيل على وجهه صلوات الله وسلامه عليه. صار الشيطان يصبح قتل محمد فاسقط بايدي كثير منهم انهزم من انهزم. ثم بعد ذلك لما انصرف - 00:23:05 كفار تأسفوا قالوا كسرنا شوكتهم ولم نصنع شيء. ما قضينا عليهم ولا سبيل الناس ولا اخذنا الاطفال لنعود نكمل عليه. فلما جاء هذا الخبر امر صلى الله عليه وسلم بمتابعته - 00:23:35

وقال لا يتبعهم الا من حضر الواقعة محتسبا متوكلا على ربه جل وعلا. فالقى الله جل وعلا الرعب في قلوب الكفار واصبحوا مسرعين واصبحوا يتخففون من الازواج التي معهم. يلقونها في الارض ويدهبون خوفا من ان يلحقهم - 00:23:55 رسول الله صلى الله عليه وسلم وجنده. لانهم اعتمدوا على ربهم جل وعلا وقالوا حسينا الله ونعم الوكيل. فالمقصود ان التوكل على الله والاعتماد عليه في احل الامور واسدها يكون - 00:24:19 من اعظم الفرج واقرب النصر. لان الله جل وعلا بيده كل شيء. وهو الذي يتصرف في الخلق كيف يشاء. وهو الذي ينصر عبده المؤمن هو الذي مع المؤمنين بالنصر والتأييد - 00:24:39

نسأل الله جل وعلا ان يجعلنا من المؤمنين الذين يتوكلون على ربهم ويعتمدون عليه ويتبعون سنة نبيه نبيهم صلى الله عليه وسلم. الله اعلم صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد. قال المصنف رحمة الله فيه مسائل - 00:24:59 الاولى ان التوكل من الفرائض. نعم. المسألة الثانية انه من شروط الایمان شروط الایمان لانه قال ان كنتم مؤمنين. فان هذه شرطية فاذا انتفى التوكل انتفى الایمان. نعم رسالة ثلاثة تفسير اية الانفال. نعم تفسير اية الانفال يا ايها النبي حسبي الله ومن اتبعك - 00:25:19

من المؤمنين هذه الواقعة وقع فيها خطأ في بعض المفسرين من ناحية العراب والمعنى كذلك قوله جل وعلا يا ايها النبي حسبي الله يعني الله كافيك وكافي اتباعك هذا هو الصواب. اما قول من قال الله كافيك واتبعك - 00:25:50 يكفونك هذا لا يجوز لان الحسد من خصائص الله ولا يجوز ان يكون على المخلوق هو خاص بالله جل وعلا. فاذا قيل هذا فهو خطأ. حسبي الله واتبعك حسبيك ايضا - 00:26:20

من المؤمنين بل الله وحسبه وحسب اتباعه. حسبي الله يعني الله هو اللي فيجب ان تعتمد عليه وتوكل عليه. وكذلك اتباعك. يجب ان يعتمدوا عليه. فاذا عليه فهو حسبيهم. نعم. المسألة الرابعة تفسير الاية في اخوها. نعم - 00:26:40 المسألة الخامسة تفسير اية الطلاق. نعم. المسألة السادسة عظم شأن هذه الكلمة. وان ما قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم في الشدائدين الله فضيلة الشيخ خير الجزاء. هذا سائل يسأل ويقول هل من اقسام الخوف الطبيعي وفي اي نوع وفي اي قسم - 00:27:10

يكون من الاقسام التي ذكرتموها حفظكم الله. الخوف الطبيعي امر طبيعي. ولكن يجب ان يكون هذا الخوف امر محقق. اما اذا كان اوهام فهو في الواقع من الجن الذي يلام عليه الانسان. يعني كأن - 00:27:40

من سبع يعني في محله او ينظره او عدو مثلا او ظالم واسبه ذلك هذا لا لو مع الانسان فيه لانه طبيعة اما ان يخاف من شيء موهوم ويخاف من الجن مثلا اخاف من الارض يكون فيها حيا - 00:28:00 اقارب او ما اشبه ذلك. وهو في اماكن ليس فيه هذه الاشياء. فهذه اوهام وهذا خور وجن والرسول صلى الله عليه وسلم استعاد

من الجبن. فلا ينبغي ان يكون الانسان خوفه بهذه المثابة - 00:28:20

ولكن اذا كان شيء محقق فلا بأس به لأن الله جل وعلا يقول لكليمه موسى عليه السلام خرج منها خائفا يترقب خائفا من العدو الذي ي يريد قتله. نعم. وهذا سائل يسأل ويقول كيف - 00:28:40

يوفق بين قوله عليه الصلاة والسلام وان تحمدتهم على رزق الله وقول النبي صلى الله عليه وسلم من لا يشكر الناس لا يشكر الله اسمه ما في معارضة لان ما معنى شكر الناس انك تحمدتهم على رزقهم وتنظر اليهم بان الرزق - 00:29:00

جاء منهم وانهم هم الذين تولوا. تحمدتهم لأنهم سبب وحتى لا يتعلق قلبك عليهم وحمده معنى جزا تجزيه. تجزيهم على انهم سبب جعل القادة الله جل وعلا اليه ليس هذا معناه انه تعلق للقلب بهم او ما اشبه ذلك. وحمدتهم ان - 00:29:20

اه مثلا تدعوه لهم وجزاك الله خيرا. بارك الله فيك وما اشبه ذلك. نعم. وهذا سائل يسأل ويقول ما حكم قول القائل توكلت على الله ثم عليك؟ او اعتمدت على الله ثم علىك. لا يجوز يعني. التوكل ما يكون على مخلوق اصلا - 00:29:50

التوكل يجب ان يكون على الله. والمخلوق يكون عليه الشيء الذي يجوز ان يكون عليه مثل وكالة. كما سبق ثم هذه تأتي بالشيء الذي يصلح ان الشيء الذي لا يصلح ما ما يصلح انها تأتي به. نعم - 00:30:10

انت تقول مثلا للانسان الله هو الذي خلق هذا ثم انت لا يجوز مثل هذا نعم. وهذا سائل يسأل ويقول قلتم حفظكم الله في شرح التوكل انه قطع النظر الى السبب. فهل يدخل - 00:30:30

في ذلك البحث عن طبيب حاذق يا اخي ما قلت هذا انا قلت ان التوكل فعل السبب مع اعتماد القلب على مسبب الاسباب فعل السبب مع اعتماد القلب في حصول المراد على الله جل وعلا. هذا هو التوكل هو عقيدة توكل - 00:30:48

يجب ان الانسان انه يفهم ويتحقق من الكلام. واذا كان مثلا ما سمع الكلام يتثبت حتى ما يكون هناك اشكال. لانه اذا لم يتثبت يصير هناك فيه فيه الاشكال. قد يكون الكلام غير غير مفهوم - 00:31:11

فاما كان غير مفهوم ايضا يستفهم ايش معنى هذا الكلام؟ ثم يسأل بعد هذا. نعم. الله اكبر هذا سائل يسأل ويقول اذا كان الانسان لا يجد في قلبه طعم الایمان ولا يتلذذ في القيام بالعبادات. واذا صلى ان شاء - 00:31:31

قال قلبه بامور الدنيا فهل هذا يدل على ان لديه شركا في المحبة لله عز وجل؟ يدل على انه وصل الى اليقين وهو بحاجة الى المجاهدة يجاهد نفسه ويجاهد الشيطان حتى يتحصل على - 00:31:51

لذة الطاعة والاستئناس بالله جل وعلا. ويفعل الاشياء التي ذكرت لكم بالامس. الاسباب التي تجلب المحبة ولذة الطاعة. وهي تقريب عشرة. او اكثر من العشرة منها المداومة على ذكر الله جل وعلا. منها تلاوة القرآن بالتدبر والتفهم. ومنها التقرب الى الله جل - 00:32:11

لو علم النواقل بعد اداء الفرائض منها اذا انكسار القلب بين يدي الله جل وعلا افتقاره الى الله ودعاؤه. ومنها قيام اخر الليل. وآآ سؤال الله جل وعلا فانه في اخر الليل ينزل الى السماء الدنيا ويقول هل من داع فيجيب؟ هل من سائل فيعطي؟ هل من مستغفر - 00:32:41

كريم جواد يخاطب عباده بهذا وهم نائمون؟ هذا ما يصلح. لكن هكذا الحرمان يجري على الناس علينا في الواقع على لاننا لسنا اهل لكرامة الله جل وعلا المقصود ان الانسان يتعرض للأسباب التي هي اسباب رحمة الله جل وعلا - 00:33:08

الله اعلم وصلى الله على نبينا محمد - 00:33:37